

روح المعاني

وبعضهم بالجبال وقرأ محمد بن الحنفية رضي الله تعالى عنه كالظلال وهو جمع طلة أيضا كعلبة وعلاب وجفرة وجفار وإذا ظرف لقوله تعالى : دعوا أي دعوا الله مخلصين له الدين إذا غشيهم موج كالظلل وإنما فعلوا ذلك حينئذ لزوال ما ينافر الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد .

فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد سالك القصد أي الطريق المستقيم لا يعدل عنه لغيره وأصله إستقامة الطريق ثم أطلق عليه مبالغة والمراد بالطريق المستقيم التوحيد مجازا فكأنه قيل : فمنهم مقيم على التوحيد وقول الحسن : أي مؤمن يعرف حق الله تعالى في هذه النعمة يرجع إلى هذا وقيل : مقتصد من الإقتصاد بمعنى التوسط والإعتدال .

والمراد حينئذ على ما قيل متوسط في أقواله وأفعاله بين الخوف والرجاء موف بما عاهد عليه الله تعالى في البحر وتفسيره بموقف بعده مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ويدخل في هذا البعض على هذا المعنى عكرمة ابن أبي جهل فقد روى السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : لما كان فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يكفوا عن قتل أهلها إلا أربعة نفر منهم قال : أقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل وعبد الله بن خطل وقيس بن ضبابه وعبد الله بن أبي سرح فأما عكرمة فركب البحر

فأصابتهم ريح عاصفة فقال أهل السفينة : أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا ههنا فقال عكرمة : لئن لم ينجني في البحر إلا بالإخلاص ما ينجني في البر غيره اللهم إن لك على عهدا إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا صلى الله عليه وسلم حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما فجاء وأسلم وقيل : متوسط في الكفر لإنزجاره بما شاهد بعض الإنزجار .

وقيل : متوسط في الإخلاص الذي كان عليه في البحر فإن الإخلاص الحادث عند الخوف قلما يبقى لأحد عند زوال الخوف وأياما كان فالظاهر أن المقابل لقسم المقتصد محذوف دل عليه قوله

تعالى : وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار والآية دليل ابن مالك ومن وافقه على جواز دخول الفاء في جواب لما ومن لم يجوز قال : الجواب محذوف أي فلما نجاهم إلى البر إنقسموا قسمين فمنهم مقتصد ومنهم جاحد والختار من الختر وهو أشد الغدر ومنه قولهم : إنك لا تمد لنا شبرا من غدر إلا مددنا لك باعا من غدر وبنحو ذلك فسرته ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لابن الأرق وأنشد قول الشاعر : لقد علمت وأستيقنت ذات نفسها .

بأن لا تخاف الدهر صرمي ولا ختري ونحوه قول عمرو بن معدي كرب : وإنك لو رأيت أبا عمير . ملأت يديك من غدر وختر وفي مفردات الراغب الختر غدر يبخر فيه الإنسان أي يضعف ويكسر

لإجتهاده فيه أي وما يحدد بآياتنا ويكفر بها إلا كل غدار أشد الغدر لأن كفره نقض للعهد
الفطري وقيل : لأنه نقض لما عاهد الله تعالى عليه في البحر من الإخلاص له عز وجل كفور 23
مبالغ في كفران نعم الله تعالى و ختار مقابل لصبار